

## التواجد البيزنطي في شمال إفريقيا

### من هم البيزنطيون:

البيزنطيون نسبة إلى بيزنطة ، و هي مدينة قديمة ذات موقع هام تتوسط كل من القارتين الآسيوية و الأوروبية. تقع في مضيق البوسفور الواصل بين البحر الأسود و بحر مرمرة المتصل بالبحر الأبيض المتوسط. تم بناء هاته المدينة من طرف اليونانيين، من طرف قائد عسكري يعرف ب بيزاس Byzas و نسبة كبيرة من سكانها آنذاك كانت تتكلم اليونانية. استقطبت هاته المدينة اهتمام الامبراطور قسطنطين و الذي اتخذ من القسطنطينية عاصمة له، و لقد انتقل لها في 330م. فهي منطقة استراتيجية باعتبارها تربط بين القارتين و توفر ممرًا استراتيجيًا للتجارة. أطلق قسطنطين على المدينة اسم "روما الجديدة" ، و بعد خمسة سنوات بعد هذا التاريخ تبنى المسيحية كديانة جديدة رسمية للامبراطورية. و بهذا أصبح يشار لهذا الجزء بـ "الناحية الشرقية من الامبراطورية".

حكم قسطنطين روما موحدة ، ولكن بعد وفاته في 337م بدأت الانشقاقات. في 364، قسم الامبراطور فلانتين الامبراطورية إلى شرقية و غربية، حكم هو الغرب، في حين حكم أخوه فالنز Valens الناحية الشرقية. تعرض الجزء الغربي للعديد من الهجمات، و خاصة من طرف الجرمانيين، الأمر الذي أدى إلى تقلص مساحة روما الغربية لتتحد فقط في إيطاليا. و سقطت الناحية الغربية في 476م. في الجانب الآخر، كانت روما الشرقية نوعًا ما محمية من الهجمات بسبب الموقع الجغرافي، حيث كانت تتمتع بإدارة قوية و استقرار سياسي نوعي و تزخر بالثروات الطبيعية. فقد استطاعت هاته الأخيرة فرض رقابة أكبر على ثرواتها الطبيعية، و لهذا استطاعت أن تستمر لقرون طويلة حتى بعد سقوط روما الغربية. مع ذلك، تجدر الإشارة أن بيزنطة كانت تخضع للقانون الروماني و المؤسسات

السياسية الرومانية و لغتها الرسمية هي اللاتينية. مع ذلك، فئة واسعة منها كانت تتكلم اللغة اليونانية و تدرس التاريخ الاغريقي و الفن و الأدب الاغريقي.

### الاهتمام البيزنطي بشمال إفريقيا:

العديد من العوامل تفسر لنا اهتمام الامبراطورية البيزنطية بشمال إفريقيا، في مقدمتها:

- الطموح القوي للامبراطور البيزنطي نذاك جوستنيان بإعادة أمجاد روما في شمال إفريقيا.
- تعرض شرائح الكاثوليك في شمال إفريقيا للاضطهاد و التمييز و الاقصاء، بسبب الخلاف الديني بين الامبراطورية و الوندال، و الذين كانوا متواجدين آنذاك في شمال إفريقيا. و لقد لجأ الكاثوليك الافارقة للبيزنطيين من اجل انقاذهم، حيث سافر العديد منهم، من ضمنهم أساقفة إلى القسطنطينية. عند وصول القائد الوندالي هلدريك للحكم، حاول تبني سياسة متسامحة أكثر مع الكاثوليك، و لكن هاته الأخيرة تسببت في تنامي السخط الداخلي و الانقلاب عليه.
- تعرض الوندال في شمال إفريقيا إلى استنزاف كبير في الموارد العسكرية و الاقتصادية، بسبب ثورات القبائل البربرية ضدهم، و كذا الصراعات في جنوب ضفة البحر الأبيض المتوسط، و رغبتها الملحة للتوسع في المنطقة. من أهم الثورات التي واجهتها هاته الأخيرة، نذكر: الأوراس، الزيبان.

### الغزو البيزنطي لشمال إفريقيا:

بدأ الغزو البيزنطي في شمال إفريقيا في 533م، و لقد استغل الامبراطور جستننيان تواجد القوات الوندالية في جزيرة سردينيا من أجل حل الفتنة الحاصلة بين الونداليين. نزلت الجيوش البيزنطية من دون مقاومة تعتبر و اتخذت طريقها للعاصمة قرطاج . اصطدمت القوات البيزنطية و الوندالية في معركة واحدة فقط، و انتت بانتصار القوات البيزنطية، و بهذا تم إنشاء مقاطعة إفريقيا البيزنطية. عرفت شمال إفريقيا بعض التغيرات على المستوى الاقتصادي، الديني، و الاجتماعي.

على المستوى الديني: بقيت الديانة المسيحية، الدين الرسمي لشمال إفريقيا، و عادت الكنائس من جديد. منح الامبراطور جوستانيان مكانة رفيعة لرجال الدين الكاثوليك و قام حتى باضطهاد الوثنيين،

و أعاد الأراضي و المزارع للاساقفة الذين تعرضوا للتهيش و الاقصاء خلال الحكم الوندالي. وكان من أهم التهديدات التي شهدتها التواجد الوندالي خلال هاته الفترة، هي الحملات العسكرية للمسلمين و التي توسعت بشكل ملحوظ خلال القرن السادس.

على المستوى الاقتصادي و الاجتماعي، عرفت شمال إفريقيا ازدهارا اقتصاديا معتبرا خلال القرن الخامس، و خاصة في القرن الخامس. استتعت البنايات الكنسية، كما تم بناء المسارح و الحمامات البيزنطية. فقد كان للتواجد البيزنطي اثرا ملحوظا على الهندسة المعمارية في المنطقة من خلال استعمال الفيفساء الملونة و بناء الحصون و القلاع. فقد تم احلال قانون الفضاء العام و الفضاء الخاص. الأول تابع لأملاك الامبراطورية و الثاني

هو ملكية خاصة. كانت كل من تيمقاد و تبسة موقعا اثريا يشير لذلك التواجد البيزنطي في المنطقة. من مظاهر انتشار البيزنطيين في شمال إفريقيا ايضا هو تنامي عدد الحصون سواء في المدن أو في الأرياف، و تتباين وفقا للغرض الذي انشئت من أجله. فهناك



القلاع العسكرية، و الجدران المحيطة بالمدن و التي تم استخدامها حتى في مراحل تاريخية لاحقة من طرف الجيوش الاسلامية. (في الصورة المقابلة جدار تبسة و الذي تحول إلى سوق في حقبة الدول الاسلامية)

قسم البيزنطيون الجزائر إلى ثلاثة اقسام أساسية و هي: نوميديا و مقرها قسنطينة، موريتانيا السطايفية و مقرها سطيف، موريتانيا القيصرية و مقرها شرشال. في البداية استعان البيزنطيون بالقبائل البربر من أجل مواجهة التواجد الوندالي، و لكن و بمجرد إحكام السيطرة على الإقليم، قام البيزنطيون بفرض الضرائب المجحفة على البربر، الامر الذي قاد لقيام ثورات ضدهم أهمها: ثورة زعيم جبال الأوراس "يابداس" و الذي استطاع السيطرة على سيرتا، و طرد البيزنطيين منها. استمر حكم البيزنطيين لما يقارب 113 عاما قبل أن تدخل الجيوش الاسلامية.

جدار سولومون الشهير  
في تبسة و الذي تم بناؤه  
في القرن السادس.  
الصورة ملتقطة في 1860



المعبد الروماني في تبسة.  
الصورة ملتقطة في  
1860.

